



بسبب القصف الجُنُونِي المُستمر، لم يبقَ في المنطقة بيتٌ ولا خزانٌ مياهٍ ولا حتى قارورة ماءٍ، وبِالطَّعامِ والشَّرَابِ قَوامُ بَدَنِ المُجاهِدِ، أمَّا الطَّعامُ فَكُنَّا قد جَهَّزنا مَؤنَةً، لَكنَّها لَيسَتْ كَميَّةً كَبيرةً، فَانتهتِ وانقطعَ الطَّعامُ ونُفذَ الماءُ والزَّادُ، لَكن ما نَفذتِ كَلِماتُ اللهِ ومَعونَتُهُ. أصيبَ بَعْضُ المُجاهِدينَ بِالهُزالِ، وَبَعْضُهُم بِالإمساكِ، وَثالثٌ بِالصَّداعِ الشَّدِيدِ، وَرابعٌ بِالإسهالِ والبَرَدِ، ظُرُوفٌ لَمْ تَمُرْ مِن قَبْلِ، لَا بُدَّ مِنَ البَحْثِ عَنِ الزَّادِ، خَرَجَ بَعْضُ المُجاهِدينَ المُخْلِصِينَ لِيُبحَثَ عَنِ قَالُونِ ماءٍ، فَعادَ بِهِ مَليئاً عَشرين لَترًا، تَكبِيرُ فُرَجَتِنا. إِنَّ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِنَا تُساوِي شَربَةَ ماءٍ، صِرتُ أَشربُ عَلى قَدَرِ (مِن سَدَّةِ القَارورة)، وَأُناولُ الشَّابَّ السَّدَّةَ لِيُشربَها.

لَقَدْ عَشنا عَشرةَ أَيامٍ بِلا زادٍ ولا ماءٍ إلا ما يُبقينا عَلى قَيدِ الحَياةِ، وَهكذا مَضَى مِنَ الحَربِ ثَلاثونَ يَوماً، لَقَدْ نَسِيتُ أَلَمَها، لَكنِّي لَمْ أنسَ دُروسَها، لَقَدْ خَتَمَنا ثَلاثَ خَتَماتٍ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ، واجتمعنا لَحَظَةَ الخَتَمِ كَما كانَ يَجمَعُ سَيدُنا أنسُ بنَ مالِكٍ ﷺ عِندَ خَتَمِ القُرْآنِ، إِنَّها مَدَرسَةٌ عَظيمةٌ في العَتمادِ عَلى اللهِ، مَدَرسَةٌ في تَفويضِ الأُمُورِ إِلَيهِ، مَدَرسَةٌ في عَدَمِ خَشيةِ العَدُوِّ، مَدَرسَةٌ في خَوفِ وَجِبِ الباطِلِ مِنَ الحَقِّ وأَهلِهِ، مَدَرسَةٌ في الصَّبْرِ، مَدَرسَةٌ في الإِيشارِ، مَدَرسَةٌ في الإِعدادِ، مَدَرسَةٌ في الِابتلاءِ، مَدَرسَةٌ في ثَباتِ المُجاهِدِ، لَقَدْ قَطَعَ اللهُ عَنِّي كُلَّ العَلائقِ وَالخَلائِقِ وَصَرتُ أَناجِيهِ مِنَ باطنِ الأَرْضِ: «إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَولاي، أَنَا الهَباءُ في كَونِكَ، وَأَنتَ المَلْجَأُ والمَلادُ، رَبَّاهُ تَوَلَّني فِيمَن تَوَلَّيتَ»، لَقَدْ كُنْتُ أَقرأُ القُرْآنَ وَكَأَنِّي أَطعمُ الطَّعامَ وَأَتزوَّدُ بِالزَّادِ، إِنَّهُ غِذاءُ الرُّوحِ.